# "الأفكار الإرهابية" لا تتحول بالمواعظ

لم يسع حتى التقارير الأجنبية البعيدة عن واقع الأحداث في السعودية أن تتكر تراجع "الإرهاب" فكرياً وميدانياً في البلاد، بعد حرب ضروس معه، أخذت أبعاداً واتجاهات شتى.

وفي الجانب الديني الذي هو محور حديثنا، واجه المتدينون المنحرفين فكرياً باستخدام عقلية "الإرهابيين" الحركية نفسها. فعلى الساحة الدينية المحضة، على "المنابر" وفي "الدورات" و"الدروس العلمية الخاصة"، اجتهد المتدينون التقليديون في رد ما يظنونه شبهاً يتذرع بها الشبان المسلحون في الخروج على الإجماع الداخلي. وسجلت وزارة الشؤون الإسلامية إحصاء لجانب من هذا النشاط، وهو الذي تشرف عليه فتجاوز في عام واحد مليون موعظة وخطبة ودرس، لم تنقل وسائل الإعلام أكثرها.

غير أن هذا الاتجاه وإن كان في نظر القائمين به "أربك الإرهابيين بوصفه قلل من مؤيديهم بصورة واضحة" كما يقال، إلا أنه لا يمكن حصر نتائجه بأرقام مثل النشاط اللافت للنظر على "ساحة الإنترنت" و "ساحة الموقوفين" في السجون السعودية بتهم

متفاوتة، فضلاً عن "ساحة الإعلام" التي تصب فيها كل تلك التوجهات، الرامية إلى محاربة التطرف والغلو.

الهدف الذي تحاول الجهات المختلفة أن تلتقي عنده يمكن اختصاره في "التبليغ عن لابسي الأحزمة الناسفة، وعزل المفتين المشرعين، وتوعية المترددين والمحايدين، ومحاولة إقناع المؤيدين بخطأ ممارسات الغلاة". غير أن هذه الأهداف شتتها -نوعاً ما- هدف آخر طارئ وهو "تبادل التيار الليبرالي والإسلامي للتهم فيما بينهما" فالأول كثيراً ما يتهم الثاني بأنه شريك في الإرهاب، أحياناً صراحة وأخرى تلميحاً.

بينما اشتهر الإسلاميون خصوصاً بعد خفة وطأة الهجمات المسلحة بتكثيف الحملة ضد الليبراليين، ومحاولة إقناع صانع القرار بأن ممارساتهم هي الأخرى تمثل جانباً يحرض على "الإرهاب" كرد فعل من جانب "الشباب المتهورين"، ما منح المتطرفين فرصة لالتقاط بعض الأنفاس.

## الدعاة التقليديون

بذل هؤلاء جهوداً تقليدية في مجملها توزعت ما بين المحاضرات والخطب والدروس والملتقيات، بطريقة وعظية، تعالج الموضوعات بشكل سطحي في أغلب الجوانب. وغالباً ما يدور هذا النوع من النشاط حول موضوعات:" الأمن، بوصفه عنصراً مهماً لتحكيم الشريعة في البلاد والرخاء" والشبهات التي يطلقها

التكفيريون مثل:"الولاء والبراء" و"إخراج المشركين من جزيرة العرب" و "قتل المعاهدين" و"الإفساد في الأرض". من بعد ديني بحت، لا يغوص كثيراً في الخلفيات السياسية.

ومع تقليدية هذه المواعظ إلا أنها يمكن أن يمتد أثرها إلى فئات أوسع من السعوديين لو أن وزارة الشؤون الإسلامية أنفقت "المال" الكافي على ذلك، لنشرها في وسائل الإعلام، إذ إن هذا النوع من المناشط بلغ من "الكثافة" حداً لا يمكن معه تخصيص الحجم اللائق به في وسائل الإعلام السعودية المختلفة، أو هكذا يحدث.

هذا على الرغم من أن الوزارة نفسها تمكنت من إصدار قرار من مجلس الأوقاف الأعلى يجيز لها الصرف على مناشط "مكافحة الإرهاب" من أموال "الأوقاف العامة"، بيد أن الوزارة تكتفي بإلقاء اللوم على وسائل الإعلام واتهامها بالتقصير في نقل جهودها على هذا الصعيد، وهو أمر ربما له بعض الوجاهة، بسبب أن معظم الصحف السعودية تنظر إلى هذا النوع من المناشط على أنه تقليدي ولا يستحق مساحات للنشر باستمرار.

وهل أثر اختلاف الوزارة مع بعض منسوبيها من الأئمة والخطباء خصوصاً بعد إعلانها لانتهاء الحرب الباردة معهم عقب ١١ سبتمبر، على الحرب الفكرية على الإرهاب؟ كثيرون يتحاشون الإجابة، إلا أن الواقع أن "الشؤون الإسلامية" رغم محاولاتها الجمع بين الترغيب والترهيب للخطباء والأئمة إلا أن سياساتها نحوهم "لا ترضي الغالبية منهم"!

## ساحة الإنترنت

بعد أن فشل تنظيم القاعدة حتى الآن على الأقل في إقامة دولة أو إمارة خاصة به في العالم الإسلامي والعربي، اتجه إلى "الإنترنت" التي اتخذه الدولة العالمية التي يدير عبرها شبكاته، ويمرر عبرها رسائله للأتباع.

ولهذا يرى المراقبون أن "الإنترنت من دون مبالغة يؤدي عبره تنظيم القاعدة كل مهمات الدولة" ولهذا تهتم خلاياها بالقرصنة الإلكترونية أكثر من أي عنصر آخر في تشكيل عصاباتها. كما يقول المتخصص في الصحافة الإلكترونية الدكتور عمار بكار.

ولهذا كانت التفاتة "حملة السكينة" التي يشرف عليها وزير الشؤون الإسلامية ذكية في مواجهة جنود "دولة الإنترنت" في خلاياهم عبر "المنتديات" والمجموعات البريدية، وتمكنت من إقناع نحو ٢٠٠٠ منهم بالتراجع عن أفكارهم التكفيرية، وحاورت عشرات الآلاف منهم. وناظرت أعداداً أخرى في المنتديات الصوتية والتحريرية. كما يقول أحد دعاتها الشرسين الشيخ ماجد المرسال.

ولأن المرسال يحاور كل التكفيريين من الناحية الفكرية بغض النظر عن استهدافهم للسعودية أو العراق أو أي موطن في العالم إلا أنه لاحظ أن "سوق التطرف والإرهاب أكثر ما يروجه ويشعل ناره بين الشباب هو غزو البلدان الإسلامية أو شن غارات على مدن بعينها، ونشر الصور البشعة لمآسي المسلمين في تلك الآفاق".

وما يميز "حملة السكينة" عن نشاط الوعاظ التقليديين أنها "تحاور أناساً في شكل مباشر تسمع شبهاتهم وترد عليها، وتقنعهم بالحجة والدليل والعقل، وغالباً ما تكون المعاناة شديدة مع قليلي العلم الذين لا يملكون منهجاً يؤسسون عليه قناعاتهم أو أفكارهم التكفيرية".

هذا الواقع بحسب نشطاء حملة السكينة أمكنهم التغلب عليه بالاستفادة من أفكار الإرهابيين أنفسهم في تشكيل الخلايا المتخصصة في كل جانب، من المحاورة إلى استخدام المعرفات المتعددة، واستقطاب الكفاءات التي تحمي أجهزتهم من قراصنة القاعدة المذهلين.

تجربة السكينة التي تعد في بدايتها مبادرة من شباب سعوديين متدينين كشفت لهم أن المجتمع يفتقر إلى "ثقافة الحوار" حسب ما يقولون. "فليست القضية أن يختلف معي فلان أو يتفق، ولكن قضيتنا أن يقبل بمبدأ التحاور، على اعتبار هذا الأخير لا يكلفه طائلاً من المال ولا الجهد ولا يكشف معلوماته أيضاً، فنحن التزمنا السرية مع كل الذين تحاورنا معهم ولم نذع شيئاً من أسرارهم".

والخصوصية التي يمنحها الانترنت للمتحاورين من الفريقين جعلت نشطاء الحملة يتمنون "التوسيع في تجربة المنتديات الإلكترونية التي تمكن الناس من إعلان آرائهم مهما بلغت من الغلو

بحرية" معتبرين أنهم واثقون من القدرة على "الانتصار بالحجج النقلية والعقلية".

وشاع بين الصحافيين السعوديين نماذج من المتراجعين بفضل الحملة من النساء والرجال، وآخرين من القيادات التكفيرية الذين أصروا على تطرفهم مع محاولات الحملة، التي يميزها أنها "صامتة" وبأسماء لا يميزها "المستهدفون" عن غيرها.

## الموقوفون في السجون

الحوار مع هذه الشريحة هو الآخر أثمر في إقناع ثمانين في المائة من الموقوفين على تضارب في تصريحات محاوريهم، لكن المهم أن زائري السجون من علماء النفس والفكر يجمعون على أن معظم الموقوفين يتراجعون مع محاورتهم، وإقناعهم بالدليل الشرعي والمنطقي والعقلي. وأعلن المتحدث باسم وزارة الداخلية أخيراً اللواء منصور التركي أن نحو ٥٠٠ من هؤلاء المتراجعين أطلق سراحهم.

ويعتقد عميد كلية الشريعة السابق الدكتور سعود الفنيسان أن تراجع الشبان الذين يتحاور معهم العلماء في السجون وفي الإنترنت عن أفكارهم "يعد مؤشراً على أن الخطأ كان من العلماء الذين إما أن يكونوا بعيدين عن الساحة، أو يتهربون من تساؤلات الشباب المحيرة، خصوصاً في الجوانب السياسية والعلاقات الدولية".

وأضاف: "المصطلحات الفقهية لدينا، التي تدرس وتوجد في الكتب التراثية المتداولة، التي تركز في خطابها ومصطلحاتها على مفهوم الدولة الإسلامية الكبرى، أفضت بأكثر شبابنا إلى الحيرة التي سهلت توظيفهم بشكل سلبي".

ويرى المراقبون أنه ليس شيئاً يمكن أن يعالج الإرهاب في زاويته الفكرية أفضل من "الحوار" المفتوح الخالي من "الخطوط الحمراء فمن لديه شبهة يعاقب عليها القانون لا بد أن يخفيها ومناقشته فيها تحتاج إلى حوار مكثف، لا تغني عنه محاضرة عامة أو خطبة عابرة". كما يقول عضو لجنة المناصحة الدكتور محمد بن يحيى النجيمي.

### معالجة "الصحافة العربية" سطحية ونفعية!

ومن ناحية أخرى دان باحث في جامعة الأمير نايف للعلوم الأمنية في دراسة تقدم بها لنيل درجة الماجستير الصحافة العربية بالافتقار في تغطيتها لقضايا الإرهاب إلى استراتيجية واضحة ومتماسكة لوضع خطط لمعالجة قضايا الإرهاب، متهماً صحافييها بقلة الاحتراف والمهنية.

وأكد الباحث إسماعيل وصفي الآغا في دراسة تحليلية عن "معالجة الصحف العربية لظاهرة الإرهاب" أن غياب الاستراتيجية الواضحة الذي لاحظه أدى في النتيجة إلى "خلل في التصدي لموضوع الإرهاب" صحافياً.

وأشار في خلاصة عن أهم النتائج التي توصل إليها بعد تحليل أجراه على جمع من الصحف العربية (معظمها سعودية) إلى أن "الوظيفة الإخبارية طغت على جميع الوظائف الأخرى وخاصة الوظيفة التثقيفية، وأن تعامل الصحف مع الظاهرة أثبت أن معالجة الصحافة العربية للظاهرة غير قادرة على تقديم رسالة إعلامية قادرة على تكوين نسق معرفي وفكري وقيمي يؤدي إلى تكوين اتجاهات وترسيخ وعي، والدفع باتجاه سلوك معين".

ورأى الآغا تبعاً لذلك أن الصحف العربية اليومية المدروسة "أقل من مستوى المسؤولية مقابل التحديات العالمية لتشويه صورة العرب والمسلمين واقتصرت على الوصف ولم تقدم معالجة صحافية تحليلية للموضوع".

ومثل على جانب من أوجه القصور بزعم أن تلك الصحف "قليلاً ما تستعين بالعلماء والخبراء والاختصاصيين ومراكز الأبحاث كمصادر للمعلومات، وأدى ذلك إلى هيمنة الكادر الصحافي العادي، وإلى ضعف الاعتماد على الخبرة والاختصاص".

وفي الشق المهني انتقد الباحث الصحف العربية المبحوثة بقسوة واعتبرها غير مستفيدة تماماً "من وظيفة الصحافة المقروءة المتمثلة في مقدرتها على تقديم مادة غنية، ذات طابع تفسيري وتحليلي، يعتمد مفهوم السياق في التغطية الصحافية، وبدلاً من ذلك ما زالت الصحف العربية تركز اهتمامها على تقديم مادة إخبارية مفككة ومشتتة ومتسرعة، ومكررة في كثير من الأحيان"!

وإذا كان الباحث حمل على الصحف المبحوثة وانتقدها مهنياً، فإن رئيس شؤون الحرمين الشيخ صالح الحصين في لقاء أخير دشن فيه كتاباً سياسياً جديداً هو "ضحايا برئية في الحرب العالمية على الإرهاب"، رأى أن الإعلام المحلي "فضلاً عن فشله في الدفاع عن بلاده ومؤسساته الخيرية ساهم في الحرب الدائرة ضدها"!